يوسف الزدكي

دُخَانٌ مِن نوعٍ آخَر

رواية



دخان من نوع آخر

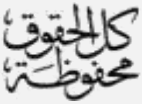


اسم الكتاب: دخان من نوع آخر
اسم الكاتب: يوسف الزدكي
نوع العمل: رواية
الرقم الدولي EBIN: 16-1-405-251001
الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني
الطبعة الأولى: 2025م / 1447هـ



دار بسمة للنشر الإلكتروني

00212771814934
داربسمة للنشر الإلكتروني (المغرب)
Darbassma1@gmail.com
المملكة المغربية



دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمّل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. كما لا يجوز بأيّ صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هَذَا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله عَلَى أي نحو كَانَ، أو بأيّ طريقة سواء كَانَت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

دخان من نوع آخر

رواية

يوسف الزدكي




بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى رفيقة دربي

الفصل الأول

عيون ترصد الأشباح عن بعد

(1)

لملم الريح نافذة البيت الخشبي مخترقًا صمت الأبواب، بينما العلَّام غارق في سبات عميق يعزف سمفونية بيتهوفن بشخير موزون وبطبع أصبهان..

وحيدًا كان الضابط عماد داخل سيارة الجيب ينتظر وصول قوات مكافحة الإرهاب على مقربة من زقاق بن سعيد.. لكن غبش الصبح يداهم فلول الظلام، والشمس ما يزال الخجل يساورها، وتأبى الطلوع، وكأنها هي الأخرى تتوقع ضيوفًا غير عاديين يفدون على العلَّام..

عم صمت رهيب حي الزيات، مقاهي ساحة البطحاء تتنفس من جديد.. نسمة هواء عليل تسري في سيارة الجيب، ويحس الضابط بقشعريرة برد، فيبادر بإغلاق النوافذ، وتداهمه نوبة سعال حاد كسرت الصمت..

دقت الساعة الثامنة ولا يسمع حس محرك السيارة، أحس عماد بملل، وفجأة، انقطع الاتصال مع المكتب المركزي، ومع عميد فرقة مكافحة الإرهاب بولاية الأمن، وهبط المِحرار إلى دون الصفر،

وما تزال همة العلَّام عالية، ونفسه حامية، ويتطلع إلى الارتحال نحو سوريا، النفس ارتحلت قبل الجسد بشهور، الجسد ما يزال مستلقيًا على فراش داخل غرفة نومه..

تزوج العلَّام من أمي وعمره سبعَ عشرةَ سنة، وانضم بعد سنوات إلى تنظيم سري..

سأله يومًا جدي: ماذا تعني لك داعش؟

نظر إلى جدي بدهشة ولم يجب، تخيل الجد أن أبي لا يعرف عن التنظيم أي شيء، وأدرك أن لغزًا أو سرًّا يخفى عنه أو يخفيه أبي..

«العلَّام نائم في الغرفة.. وقوات مكافحة الإرهاب لم تصل بعد».

قالها الضابط لعميد الشرطة في الهاتف..

لكن الضابط لم يعلم أن أبي نائم منذ أربع سنوات...

يلف حارة الزَّيات صمت غريب...

الكل راقد في جحره الإسمنتي، طيور أبابيل لوحدها تمارس نشاطها..

ترفرف، تغرد، تكسر بزغاريدها الصمت الرهيب.. بساتين الليمون تفوح بعطر الزهر وتغمق هواء الحي بأريجها العطري...

انسل طائر أسود من السرب، وحلق بعيدًا ثم حط الرحال فوق سطح منزلنا...

مسكن من الطراز العتيق، الواجهة مطلية بصباغة بيضاء.. نوافذها مكسوة بقرمد أخضر، مزينة شرفاتها بأغراس نبتة الحبق والزعتر والسوسن، وغير بعيد عنه رست حمامة بيضاء على شباك هندسي يغلف إحدى النوافذ، ولم تحرك ساكنًا، وأطلت برأسها تحاول سبر غور ما يوجد وراء النافذة، ربما قادها فضولها إلى سر من أسرار هذا البيت الصامت، وربما تبحث كما البوليس عن خيط هارب أو جرعة ماء تبل بها حنجرتها، كان هديلها يكسر الصمت، لا تعلم ما سوف يحدث بعد لحظات، حتى الطائر الأسود الرابض على السطح يسائل نفسه: ما الذي أتى بي إلى هنا؟

أكيد هناك سبب.. لا أدري ما هو؟

يتحسس الطير بأرجله أرضية السطح، فتلامس أنامله قطعًا زجاجية متناثرة...

وتلتصق بوبر جلده ذخيرة حية...

ومن أحد نوافذ بيوت الشارع الفرعي للحي، ينداح صـــوت المذياع في خجل، يعلن المذيع عن محاصرة البوليس لخلية نائمة مـــن المغفلين، ويزف للمواطنين خبر يقظة جهاز المكتب المركزي..

ها هو الباب موصد.. يكسر هدوء الزقاق حركة أرجل تتناغم مع صوت المذياع..

تخترق سيارة مدرعة البوابة الخلفية للحي المطل على بســـاتين وِسْلَانْ.. يحيط بجوانبها رجال ملثمون يحملون بنادق أوتوماتيكية...

تتقدم السيارة.. تخرق شريط الأحداث.. تبحث عـــن خـــيط رفيع.. سافرة سوف تصبح خطة أبي بعد دقائق معدودات...

سوف ينكشف المستور.. وربما يصل البـــوليس إلى حقـــائق لم يتوقعها أبي، ولا حتى الضابط عماد الذي بدت على وجهه علامات قلق وحيرة، يراوده حنين إلى حبه الحالم الأول لي، وتتلاحق صور أبي أمام عينيه، وتسافر به ذاكرته الطازجة في دروب المدينة، كل درب يحمل ذاكرة وجوه صبوحة، وفي قلبه يسكن إحساس يختلط بداخله عبق الطفولة بتلك اللقاءات السرية معًا ببساتين وِسْلَانْ مثل عنـــق حسناء تتزين بسوار من ذهب.. والشك في حبه لي يتوغل في أدغال قلب موحش وتهزه لوعة الاحتضان...

وفجأة يوقظه أزيز هاتفه المهني الجوال، يعتـــدل في جلســـته.. يتحسس بيده مسدسه.. يتخلص بسرعة من ارتباك حاصره ويـــرد بصوت شجي:

– أنا الضابط عماد حوِّلْ...

الوضع مستقر...

وقوتنا جاهزة للتدخل...

ماذا تنتظر أيها الضابط؟

ننتظر إشارة منك سيدي...

استعدوا إذن...

يعود الارتباك إلى الضابط عماد...

يستجمع قواه، لكن وقع الخيانة يحاصر تفكيره.. يحيل جسده إلى أشلاء...

يتجرع من جديد كأس الخيبة وهو متكئ على مقعـــد ســـيارة الجيب..

يرسم خياله صوراً لي وأنا أصرخ في أعماق نفسي، لا أستطيع أن أستعيد مشهداً تراجيدياً كالذي عاينته وأنا ألمح بأم عيني خطيبي يتسلم حقيبة من أبي ويفتحها، وأنا مشدوهة من وراء النافذة أتابع عماد يتلمس أوراقًا خضراء.. وعيناه ترسلان بريقًا يضاهي بريق الفِلس..

صفعه منظري وأنا ممددة على السرير ليلًا وضوء القمر يشف عن أيادٍ خشنة تتلمس جسدي الناعم.. خنت ثقته بي.. أنا بين أحضان رجل غريب..

عين الضابط عماد يرقب المشهد في صمت...

لم يصدق يومًا أن يتحول الحب في لحظة سريعة إلى كابوس لعين...

لم يستطع أن يقاوم قسوة ما رآه.. فانسحب هاربًا من الحقيقة..

في تلك اللحظة التي اكتحلت عيناه بحركة جسمي الغريب، فار الدم في جمجمته.. وضع يده على مسدسه وهم بململته، لكن رجاحة عقله دفعته إلى التراجع خطوة واحدة.. والانسحاب في صمت..

صوت بداخل خطيبي يسائله بإلحاح:

لماذا فعلتها يا مها؟

لكنَّ صوتًا مفاجئًا يقطع شروده قائلًا:

لماذا لم تأمر رجالك بالتقدم أيها الضابط؟

الإشارة وصلت منذ خمس دقائق، وأنت ما تزال مسمَّرًا في مكانك؟

يتقدم الضابط.. ومن وراءه كتيبة الأسود المسلحة..

الباب موصد..

داخل الغرفة، ينام أبي على ظهره، وبيده سبحة بيضاء..

يساوره قلق غريب..

سلاحه الناري لا يفارقه...

كل شيء جاهز لتنفيذ الخطة...

الرجال.. العتاد.. الذخيرة.. القفازات.. السلالم.. أجهزة الاتصال...

لم يبقَ على التنفيذ سوى ليلة واحدة...

أنا جزء من الخُطة...

قالها الضابط مع نفسه ووطَّنها أبي في قرارة نفسه...

لكنَّ سؤالًا لم يخطر بباله: أين أنا الآن؟

لم يدُرْ بخلَد أحدهما أنني محتجزة داخل سرداب سري..

الوصول إليَّ شائك ومعقد..



(2)

بداخل قبو مظلم يقبع جسد أنثى أكلتــه الرطوبــة وابتلعــه الصمت...

اليدان مكبلتان بحزام جلدي، تحكم الخادمة قبضتها على المترل الكبير، ذي الأربع طوابق، القابع في تل صخري، لا يفصــله عــن مترل أبي سوى أمتار قليلة، لا يسمع سوى طنين الــذباب، بعينيــه العسليتين، وشاربه الثائر، وشعره الأشعث يقبض شعون على مقبض الخنجر، وأذناه تصيخان السمع، وقدماه ترتعدان، ووجهه مصــفر، تنبه إلى وقع خطوات، فعنّ له أبي بســرواله الفضــفاض، وقبعتــه السوداء وطربوشه الأحمر.. فخاطبه الشيخ بنبرة غاضبة:

– ما هذه الطلعة المفاجئة؟ ليس من عادتك أن تحضر في وقت مبكر..

– صحيح يا عم، لكن...

– لكن ماذا؟

– خبر أحمله...